

مدرسة كوبنهاغن (الغلوسيماتية)

د/ موسى لعور

1- في التكوين والتسمية:

تأسست الغلوسيماتية *la glossématique* سنة 1931، وهي الحلقة اللسانية التي اتخذت من كوبنهاغن مقرا لها، وكانت في بداية الأمر تتكون من مجموعتين:

- مجموعة تهتم بالدراسات النحوية؛
- مجموعة تهتم بالدراسات الصوتية.

كان " لويس ترول هلمسليف" (1899- 1965) مشرفا على المجموعة الصوتية، وقد أطلق عليها "الفونيماتية" *Phonématique*، بينما أشرف " فيغو برونالد" (1887- 1942) على المجموعة النحوية.

وانضم إلى الحلقة أيضا "يولدال" (1908- 1957) و"توجيبي" (1918- 1974) وغيرهما. وأنشأت الحلقة دورية تحمل عنوان *Acta linguistica* صدر منها العدد الأول سنة 1939. وقد جاء في افتتاحية هذا العدد " أن هدف الدورية نشر الأبحاث اللسانية من منظور بنيوي، أي تلك التي تنظر إلى اللسان في كليته ووحدته، وتناقش القضايا الجوهرية في اللسانيات البنيوية وتواكب تطورها، كما اعتبرت الدورية نفسها مجالا علميا لتعاون لسانيي العالم الذين يشتركون في مبادئ البحث اللساني البنيوي"¹

عرّفت حلقة كوبنهاغن بأولى تصوّراتها اللسانية ابتداء من 1936 خلال المؤتمر الدولي للعلوم الصوتية المنعقد بلندن، الذي قدّم فيه هلمسليف بحثا بعنوان " *Outline of glossematics*" كشف فيه عن نظرية لسانية جديدة أطلق عليها الغلوسيماتية، تتعلق بدراسة الصوتات، وحدّد فيه البرامج والأهداف التي وضعتها الحلقة لمعالجة القضايا اللغوية، ومنذ هذا البحث أصبح مصطلح الغلوسيماتية ملازما لحلقة كوبنهاغن اللسانية بصفة عامة، ولرائدها هلمسليف بصفة خاصة.

وتمّ اختيار اسم الغلوسيماتية *glossématique* من *glossem* (ومعناها لغة في اللاتينية) لتمييز المقاربة اللسانية الجديدة عمّا كان أعضاء الحلقة يسمونه "اللسانيات التقليدية" *linguistique classique* وتبيان مدى اختلافها عن اللسانيات السابقة واستقلالها عن مبدأ المادة *substance* الخارج- لغوية، ويقصدون بها اللسانيات المقارنة التاريخية التي أوصلت اللسانيات إلى الطريق المسدود، وكانت في نظرهم متعالية عن موضوعها الحقيقي من جهة

¹ مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 255.

نظرا لعنايتها بقضايا خارجة عن اللغة نفسها، ومن جهة ثانية لما لاحظوه من استعمال
اعتباطي وغير دقيق للفظ اللسانيات²

دعا هلمسليف في جل كتاباته إلى مقارنة لسانية جديدة تهدف إلى بناء لسانيات جديدة تقوم
على أسس نظرية ومنهجية ذات مواصفات ومقاييس تطابق نظيراتها في مجال العلوم
الدقيقة، وسعت الغلوسيماتية إلى بعث روح جديدة في الدراسات اللسانية التي كان أعضاء
الحلقة يصفونها باللسانيات التقليدية، فالمقاربات اللسانية التي سبقت الغلوسيماتية استهدفت
أشياء أخرى غير دراسة اللسان في حد ذاته ومن أجل ذاته، إن تحديد طبيعة اللسان ومعرفة
بنيته الداخلية لم يكونا قط موضوع اهتمام اللسانيات المقارنة والتاريخية التي كان هدفها
بالأساس البحث في القرابة التكوينية والتسلسل التاريخي للألسن المدروسة.

إن الدراسات اللغوية قبل سوسير لم تكن تدرس اللسان بذاته ولذاته، وإنما تناولته كوسيلة
لغايات معرفية وثقافية عامة، في علاقاته المختلفة بالإنسان في أبعاده المتعددة، من تاريخ
وعلم نفس وعلم واثروبولوجيا، وهي كلها علوم بعيدة عن اللسانيات، بينما يتطلب الأمر في
نظر الغلوسيماتية أن نضع حداً نهائياً لهذا التداخل غير الواضح المعالم بين العلوم والمعارف
المهتمة باللسان، ونجعل من اللسانيات علما قائم الذات، موضوعه اللسان في ذاته ومن أجل
ذاته، وذلك بالعودة إلى بنيته الداخلية وهو ما أسماه هلمسليف باللسانيات المحايثة

linguistique immanente وتقابل اللسانيات التقليدية أو كما يسميها بالمتعالية أيضا،
لأنها تتعالى عن موضوعها اللسان مكتفية بدراسة جوانب خارجة عن اللسان وعن بنيته
الداخلية³

2- فحوى النظرية:

تعنى هذه النظرية بوصف الظواهر اللغوية وتحليلها وتفسيرها بطريقة موضوعية. يقول
هلمسليف: "إنها تهدف إلى إرساء منهج إجرائي يمكن من فهم كل النصوص من خلال
الوصف المنسجم والشامل"⁴

من هذا المنطلق يرى هلمسليف أن نظريته ما هي إلا امتداد طبيعي لنظرية دو سوسير
وبلورتها في اللسانيات، وبالفعل فقد نادى هلمسليف بما نادى به دو سوسير من قبل: وهو أن
اللغة شكل وليست مادة، وأن المادة ليس لها معنى في ذاتها، ويمكن أن تكون صوتية أو
مكتوبة أو إشارتية بالنسبة للدوال، أما بالنسبة للمدلولات فقد ذهب أبعد من دو سوسير

² مصطفى غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، ص 258.

³ ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، ص 259.

⁴ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 159.

وأعلن أن القِيم المجردة للعبارات هي وحدها التي لها وجود، وبهذا فإن اللغة نظام من القِيم، وإن مفتاح تحليل هذا الشكل هو اللسانيات المحايثة⁵

بناء على هذا تمثّل هلمسليف تصورات دو سوسير وآراءه الواردة في كتابه "دروس في اللسانيات العامة" موليا إياها عناية كبيرة خاصة ما تعلق بالثنائيات، حيث أعاد صياغتها صياغة جديدة، وذلك وفق النحو الآتي⁶:

• ثنائية التعبير / المحتوى:

استبدل هلمسليف ثنائية الدال والمدلول بثنائية مستوى التعبير ومستوى المحتوى وأكد أن اللغة تتكون من هذين المستويين اللذين تجمعهما علاقة تدعى العلامة اللغوية وكل مستوى يخضع بدوره إلى ثنائية أخرى، هي ثنائية الشكل والمادة، وتنتج عن هذه التعالقات أربع طبقات منطقية هي:

أ- مادة المحتوى (الأفكار)

ب- شكل المحتوى (البنية التركيبية والمعجمية)

ت- شكل التعبير (الفلولوجيا)

ث- مادة التعبير (الفونتيك)⁷

وعلى هذا الأساس تكون مادة التعبير عبارة عن أصوات خام، ويكون شكل التعبير عبارة عن قوالب تركيبية مختلفة للمادة كالفونيمات والمورفيمات وغيرهما.

وفي حديث لروبيز عن هذه الثنائية يشير: إلى أن مستوى التعبير يتكون من الأصوات اللغوية أو الفلولوجيا ومستوى المحتوى يتكون من الأفكار والدلالة... ولا بد أن يكون تحليل التعبير مستقلا عن المقاييس الفونتيكية غير اللغوية، وأن يحلل إلى مستويات نهائية فكلمة (فرس) تحلل إلى /ف/ ، /ر/، /س/ على مستوى التعبير وإلى: خيل، أنثى، على مستوى المحتوى.⁸

• ثنائية لسان* / استعمال:

يرى هلمسليف أن مفهوم اللسان في علاقته بالكلام عند دو سوسير ليس متجانسا، بل يكشف عن تداخل ثلاثة مستويات هي:

⁵ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 161.

⁶ ننوه إلى أننا اقتصرنا على ثناتين اثنتين فقط.

⁷ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 162.

⁸ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 162.

* يطلق عليه أيضا: النمط / النص . ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 160.

- اللسان الخُطاطة؛
- اللسان الاستعمال؛
- اللسان المعيار.

فمستوى اللسان الخُطاطة أو المنوال أو الهيكل: هو نسق من القواعد المجردة التي يسير عليها في مستوياته المختلفة، بصرف النظر عن أي استعمال.

أما مستوى اللسان الاستعمال: فهو عبارة عن مجموعة بسيطة من العادات اللغوية التي يتبناها المجتمع المتكلم في استعمال قواعد لسانه.

أما مستوى المعيار فيحدده استعمال الأفراد المتكلمين اللسان في صورته الخالصة أو الخطاطة. إذ إن المتكلمين يخرجون اللسان من صورة خالصة إلى صورة مادية يمكن ملاحظتها عبر ما يتركه اتباع قواعد اللسان من آثار مادية ملموسة.⁹

ويملك الكلام بدوره خصائص ينفرد بها مقابل خصائص اللسان التي سبق ذكرها، وهي:

- الكلام تنفيذ حر وليس مؤسسة؛
 - الكلام فردي وليس جماعيا؛
 - الكلام عملية دينامية وليست جامدة.
- 2- **المبادئ العامة للغلوسيماتيك**: تتمثل في:
- مبدأ التجريبية؛
 - مبدأ الإحكام والملائمة.
- 3- **منهجها**:

المنهج الغلوسيماتي يبدأ دائما بالوحدات الكبرى ثم الصغرى فالأصغر منها، فيتناول النص الشامل سواء كان مكتوبا أم منطوقا، ثم يقوم بتحليله تدريجيا.¹⁰

فهي بهذا تتبع المنهج الاستنباطي الذي يعتمد التحليل من الكل إلى الجزء، بعكس ما كان سائدا لدى جل اللسانيين قبل الغلوسيماتية¹¹

محصول الحديث: يمكن القول إن النظرية الغلوسيماتية:

- انطلقت من مسلمات المنطق الصوري؛
- تميزت عن باقي النظريات الأخرى باستخدام الجبر والرياضيات بصورة مبالغ فيها.

⁹ ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، ص 269.

¹⁰ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 167.

¹¹ مصطفى غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، ص 262.